مركز حمورابي

كيف ساهمت الحرب الباردة في تشكيل منظومة الاستخبارات الهندية

كيف ساهمت الحرب الباردة في تشكيل منظومة الاستخبارات الهندية؟

بقلم: سوشانت سينغ/ محاضر في جامعة ييل

ترجمة: صفا مهدي عسكر/ مركز حمورابي للبحوث والدراسات الإستراتيجية

مركز حمورابي للبحوث والدراسات الإستراتيجية

7 كانون الاول 2024

حقوق النشر محفوظة لمركز حمورابي للبحوث والدراسات الإستراتيجية

لا يجوز نشر أي من هذه الابحاث والدراسات والمقالات الا بموافقة المركز، ويجوز الاقتباس بشرط ذكر المصدر كاملا، وليس من الضروري ان تمثل المقالات والابحاث والدراسات والترجمات المنشورة وجهة نظر المركز وانما تمثل وجهة نظر الباحث

عندما استقالت رئيسة وزراء بنغلاديش الشيخة حسينة تحت وطأة احتجاجات طلابية واسعة النطاق في آب 2024، بادر بعض من أنصار رئيس الوزراء الهندي ناريندرا مودي من القوميين الهندوس إلى اتهام وكالة الاستخبارات المركزية الامريكية (CIA) بالمسؤولية عن ذلك دون تقديم أدلة، وصف هؤلاء المنظرون ما حدث بـ"ثورة ملونة"، وزعموا أن سيناريو مشابهًا قد يُعاد تنفيذه في نيودلهي. كان الهدف من هذه الادعاءات تقويض مصداقية المعارضة السياسية في الهند، وتشويه أي احتجاجات محتملة ضد مودي، مع جعل الدور المزعوم للولايات المتحدة في زعزعة حكومة حسينة ذريعة مثالية.

يمثل هذا الحدث استدعاءً لذكريات فترة الحرب الباردة حيث ساد الخطاب العام في الهند الحديث عن خطر "التدخل الأجنبي" في الشؤون الداخلية لنيودلهي، وفي كتابه الأخير يتناول (بول م. مكغار)، المحاضر في كلية كينغز بلندن، تاريخ تدخل وكالات الاستخبارات الغربية في الهند، وردود الفعل الحازمة من القيادة السياسية الهندية تجاه التدخلات سواء كانت حقيقية او مبالغاً فيها.

كتاب مكغار بعنوان "التجسس في جنوب آسيا: بريطانيا، الولايات المتحدة، والحرب الباردة السرية للهند"، يقدم دراسة جديدة لموضوع قلما نُظر إليه بمنهج أكاديمي. يجادل مكغار بأن تدخلات الحرب الباردة من قبل الوكالتين البريطانية والأمريكية كانت في الغالب "ذات نتائج عكسية"، حيث أدت إلى تقويض النفوذ الغربي، وإبطاء تطور الديمقراطية، وتعزيز "ثقافة وطنية من الشكوك ونظريات المؤامرة" التي لا تزال قائمة في الهند حتى يومنا هذا. ومن خلال تحليل دقيق يتجاوز التحيزات الشخصية والنزعات القومية التي غالبًا ما تظهر في الروايات الرسمية، يرسم مكغار صورة لفترة تاريخية تميزت بتناقضات في علاقة الهند مع بريطانيا والولايات المتحدة، تعكس هذه التناقضات التوترات السياسية في الهند المعاصرة. قراءة هذا الكتاب بعمق، قد تتيح لصناع القرار في الدول الغربية فهمًا أعمق لحدود التعاون الوثيق مع نيودلهي، وقد تقود إلى تقييمات استخباراتية أكثر دقة لوضع أهداف سياسية قابلة للتحقيق.

بعد حصول الهند على استقلالها من بريطانيا في عام 1947، تبنت سياسة عدم الانحياز التي سعت من خلالها إلى الحفاظ على علاقات ودية مع القوى الكبرى مع الامتناع عن الانضمام إلى أي من الكتلتين: الكتلة الشيوعية بقيادة الاتحاد السوفيتي أو الكتلة الراسمالية بقيادة الولايات المتحدة، جعلت هذه السياسة الهند مركزًا غير

---

[1] Sushant Singh, How the Cold War Forged India's Intelligence Setup, FOREIGN POLICY, November 29, 2024.

متوقع لصراع استخباراتي سري بين القوتين العظميين، ويتميز كتاب مكغار بتقديم رواية دقيقة ومفصلة عن هذا الصراع الذي دار في دول العالم الثالث آنذاك.

كانت نيودلهي مسرحاً لعدد من الحوادث المثيرة المرتبطة بوكالات الاستخبارات السوفيتية والأمريكية، على سبيل المثال في عام 1967، تمكنت سفيتلانا أليلويفا ابنة الزعيم السوفيتي جوزيف ستالين، من الفرار من مراقبيها ودخول السفارة الأمريكية في الهند. كانت أليلويفا الزوجة العرفية لشيوعي هندي التقت به في موسكو، وقد سافرت إلى الهند بعد وفاته لنثر رماده، بعد رفض طلبها بالبقاء في الهند بسبب خيبة أملها من الشيوعية السوفيتية وقررت بشكل مفاجئ الانشقاق إلى الولايات المتحدة.

حتى الأدب البريطاني أشار إلى دور نيودلهي كموطن للتجسس، ففي إحدى روايات الكاتب البريطاني جون لو كاريه، يلتقي بطل الرواية وهو ضابط استخبارات بريطاني، خصمه السوفيتي للمرة الأولى داخل زنزانة في سجن بنيودلهي في منتصف الخمسينيات. ومع تصاعد القيود الحدودية وإسدال الستار الحديدي على أوروبا الشرقية يُشير مكغار إلى أن الهند أصبحت محورية لعمل الاستخبارات الغربية، فقد اعتُبرت بحسب وصف أحد الجواسيس البريطانيين الذين انشقوا إلى موسكو، المكان الذي يوفر "أفضل الظروف لإقامة اتصالات مع المواطنين السوفييت"، من جهة أخرى جذبت هذه المزايا وكالات الاستخبارات السوفيتية إلى نيودلهي، رغم افتقار موسكو إلى الروابط اللغوية أو التاريخية الاستعمارية التي كانت تشكل ميزة للغرب.

لم تقم السلطات البريطانية في الهند عند انتهاء الحقبة الاستعمارية، بنقل الخبرات المؤسسية وآليات العمليات الاستخباراتية إلى الدولة الهندية الوليدة، وكان رئيس الوزراء الأول للهند جواهر لال نهرو، الذي قضى قرابة عقد في السجون الاستعمارية ينظر بعين الريبة إلى النظام الاستخباراتي البريطاني، لكنه أدرك في الوقت نفسه ان الدولة الجديدة قد تستفيد من خبرات مستعمريها السابقين.

يشير المؤرخ بول مكغار في كتابه إلى أن نهرو كان محقًا في شكوكه، ففي عام 1947، خلال حديثه إلى وزراء الأمن، صرح بأن النظام الاستخباراتي الاستعماري "انهار تقريبًا، كما كان متوقعًا، لأنه صُمم لأغراض مختلفة تمامًا... ويجب بناء جهاز استخباراتي جديد يناسب احتياجاتنا".

ومع ذلك فإن التعامل مع غياب نظام استخباراتي فعال كان مهمة صعبة، رغم تحفظاته الشخصية أقر نهرو بإقامة شراكات استخباراتية وثيقة مع بريطانيا، وعلى النقيض تعامل بحذر مع الولايات المتحدة على الرغم من أن قادة الأجهزة الاستخباراتية الهندية أقاموا علاقات مهنية مع نظرائهم الأمريكيين، وكان نهرو يحذر دائمًا ضباط الاستخبارات من الإفراط في الإعجاب بالعملاء الغربيين مشددًا على أهمية تطوير قدرات وطنية مستقلة.

في السنوات الأولى للاستقلال واجهت الهند تهديدات متعددة، من بينها القومية الهندوسية والشيوعية واعتبر نهرو أن القومية الهندوسية تشكل تهديدًا خطيرًا لاستقرار الهند كدولة علمانية، خاصة مع وجود أقلية دينية كبيرة. ازدادت هذه المخاوف بعد أن تورط بعض القوميين الهندوس في اغتيال المهاتما غاندي، ومع ذلك نجح

نهرو في هزيمة القوى اليمينية الهندوسية في انتخابات عام 1952، مما دفع أنشطتهم إلى الهامش لكن حتى داخل حزبه، كان هناك تردد في مواجهة هذه النزعة بشكل مباشر.

في الوقت ذاته اندلعت انتفاضة شيوعية كبرى في جنوب الهند ما دفع قوات الأمن الهندية إلى قمعها، إلا أن صعود الحزب الشيوعي الهندي، بسيطرته على النقابات العمالية والفلاحين، أثار قلق بعض أعضاء الحكومة الهندية. وعندما فاز الحزب الشيوعي في ولاية كيرالا، ليصبح أول حكومة شيوعية منتخبة ديمقراطيًا في العالم، تدخلت بعض العواصم الغربية عبر أجهزة الاستخبارات لاستهداف حكومة الولاية، وأحيانًا بالتعاون مع الوكالات الهندية.

كان للنظرة الدولية المتأثرة بالماضي الاستعماري دور في تشكيل عمل الأجهزة الاستخباراتية الهندية، التي ركزت على تهديد الشيوعية ومراقبة الأنشطة السوفييتية في البلاد، أمر نهرو وزارة الخارجية الهندية باستدعاء السفير السوفييتي لتوجيه تحذير رسمي. ومع ذلك يشير مكغار إلى أن نهرو، لو كان على دراية كاملة بالمناقشات الجارية في واشنطن حول إعادة تشكيل المشهد السياسي في كيرالا، ربما كان سيستدعي السفير الأمريكي إلسورث بانكر لتوجيه تحذير مشابه.

يرى مكغار أن تعامل الولايات المتحدة المتأثرة (بالمكارثية) ([1])، مع الصين الشعبية كان يتمحور حول احتواء الشيوعية، بالمقابل كانت الهند تواجه مشكلة مختلفة مع الصين تتعلق بتصاعد النزاعات الحدودية، التي حولت العلاقات الودية السابقة إلى عداء. في هذا السياق طلب مكتب الاستخبارات الهندي مساعدة وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية (CIA)، التي كانت تسعى لاستخدام الهند كقاعدة لمواجهة الصين، ومع ذلك بقيت حكومة نهرو حذرة من التعاون الوثيق مع الوكالة، خشية أن تستغل الولايات المتحدة الطلبات الهندية كذريعة للتدخل في الشؤون الداخلية للبلاد.

تكشف الأدلة التي استشهد بها مكغار من مصادر هندية وأمريكية أن وكالة الاستخبارات المركزية نجحت في تجنيد عملاء داخل الحكومة الهندية، ويشير مكغار إلى أن محطة الوكالة في نيودلهي "تباهت علنًا بقدرتها على الحصول على نسخ من أي وثيقة تصدرها الحكومة الهندية"، تفاقمت الأمور بسبب سوء فهم واشنطن لمواقف نهرو إذ اعتبرت القيادة الأمريكية أن نهرو "معادٍ بطبيعته للولايات المتحدة" - وهو تفسير خاطئ لنقده لسياسات واشنطن بشأن الاستعمار والرأسمالية الحرة واحتواء الشيوعية.

رغم اعتراف الهند بسيادة الصين على التبت في أوائل الخمسينيات، شعرت نيودلهي بالاستياء من استخدام جيش التحرير الشعبي الصيني لتأكيد سيطرته على الإقليم، أقر نهرو بأن الهند تفتقر إلى القدرة على التدخل في التبت، لكنه كان مستعدًا لاستقبال اللاجئين التبتيين. هذا الموقف المتردد وفر فرصة استغلتها وكالة

[1] مكارثّية (بالإنجليزية: McCarthyism) هو سلوك يقوم بتوجيه الاتهامات بالتآمر والخيانة دون الاهتمام بالأدلة. ينسب هذا الاتجاه إلى عضو بمجلس الشيوخ الأمريكي اسمه جوزيف مكارثي، مركز حمورابي للبحوث والدراسات الاستراتيجية.

[1] مكارثّية (بالإنجليزية: McCarthyism) هو سلوك يقوم بتوجيه الاتهامات بالتآمر والخيانة دون الاهتمام بالأدلة. ينسب هذا الاتجاه إلى عضو بمجلس الشيوخ الأمريكي اسمه جوزيف مكارثي، مركز حمورابي للبحوث والدراسات الاستراتيجية.

الاستخبارات المركزية، وعبرت طائرات الوكالة المجال الجوي الهندي لدعم عمليات المقاومة في التبت، وساعد العملاء الأمريكيون الدالاي لاما على الهروب من لاسا عام 1959 ودخول الهند، حيث سمح له نهرو بالبقاء.

وجدت الهند نفسها في مركز العمليات الأميركية، مما جذب جواسيس ووكلاء سريين من مختلف أنحاء العالم إلى بعض مدنها الحدودية، وكانت مدينة كاليمبونغ الواقعة في منطقة التلال الهندية قرب الحدود مع الصين، الأكثر شهرة في هذا السياق. وصف رئيس الوزراء جواهر لال نهرو المدينة بأنها "تضم من الجواسيس أكثر مما تضم من السكان العاديين"، وأبدى استياءه من استخدام العملاء الأميركيين لكاليمبونغ كقاعدة للعمليات ضد التبت محذرًا من أن هذه الأنشطة قد تثير غضب الصين، لذا وجه رئيس جهاز الاستخبارات لضمان أن تبقى أنشطة العملاء الأجانب "بعيدة عن الأنظار" قدر الإمكان.

على الرغم من ذلك عبّرت الصين عن استيائها الشديد من الهند، خصوصًا لاستضافتها الدالاي لاما، كما أشار رئيس الوزراء الصيني تشو إنلاي إلى أن الأنشطة التي انطلقت من كاليمبونغ كانت سببًا إضافيًا لتدهور العلاقات بين البلدين. كما أثار تشو قضية الرحلات الجوية التي نفذتها وكالة الاستخبارات المركزية فوق الحدود الهندية الصينية ودعمها للمتمردين المسلحين في التبت، وعندما نفى نهرو علمه بتلك العمليات، قدم تشو تفاصيل دقيقة عن المسارات الجوية وحمولتها، مما أحرج نهرو وأثبت ضمنيًا تورط الهند في تعاون سري مع الولايات المتحدة.

مع تعيين جون كينيث غالبريث سفيرًا أميركيًا في نيودلهي عام 1961، خلال إدارة الرئيس جون كينيدي توقفت رسميًا العمليات السرية لوكالة الاستخبارات المركزية داخل الهند، وتم الحد من العمليات الجوية لدعم المتمردين التبتيين التي وصفها غالبريث بأنها "متهورة" بحسب وصف مكغار، ومع ذلك تشير بعض الروايات إلى أن الوكالة واصلت عملياتها مع إبقاء غالبريث في الظلام.

لكن الأوضاع تغيرت جذريًا في تشرين الاول 1962، عندما هاجم الجنود الصينيون المواقع الحدودية الهندية وحققوا تقدمًا عسكريًا سريعًا وأمام هذه الأزمة اعترف نهرو بأن بلاده بحاجة ماسة إلى "التعاطف والدعم" الدوليين، استجابت الولايات المتحدة لهذا النداء وعلى الرغم من أن تفاصيل التعاون ظلت سرية، تكشف الوثائق المرفوعة عنها السرية أن وكالة الاستخبارات المركزية لعبت دورًا محوريًا في دعم الهند خلال هذا الصراع.

هذا التعاون أسس لشراكة استخباراتية جديدة بين البلدين وكانت موجهة أساسًا ضد الصين، ويشير مكغار إلى أن "الشعور بالعجز الاستخباراتي الناتج عن الحرب الصينية - الهندية خلق ظروفًا دفعت نيودلهي للتخلي عن ترددها في التعاون مع وكالات الاستخبارات الغربية"، وأدى هذا الإخفاق العسكري إلى ترسيخ "رواية الفشل الاستخباراتي" في الوعي السياسي الهندي، ما أدى إلى إصلاحات جذرية في الأجهزة الاستخباراتية.

تناسب هذا التعاون مع تحليل إدارة كينيدي للمكاسب الجيوسياسية الأميركية، حيث توقعت واشنطن أن الصراع الحدودي سيجبر موسكو على الاختيار بين بكين ونيودلهي، وأنه قد يفتح الباب للتقارب بين الهند

وباكستان. ولكن بنهاية الستينيات، أصبحت الهند تعتمد على الاتحاد السوفيتي للتزود العسكري، وخاضت حربًا مع باكستان بشأن كشمير.

شهدت العلاقات الاستخباراتية بين الهند والولايات المتحدة وبريطانيا تحولًا كبيرًا شمل تشكيل وحدة هندية سرية لمراقبة التبت، واستخدام مدرج طيران مهجور من الحرب العالمية الثانية في ولاية أوديشا الهندية للعمليات السرية، وتشغيل طائرات استطلاع أميركية من طراز "يو-2" من الأراضي الهندية، وساعدت هذه الطائرات في تأكيد تطوير الصين منشأة نووية في منطقة لوب نور بشينجيانغ.

كان أحد أكثر المشاريع جرأة هو العملية المشتركة لنشر معدات مراقبة تعمل بالطاقة النووية على قمم الهيمالايا لرصد الاختبارات النووية الصينية، وحملت هذه العملية اسمًا رمزيًا هو (القبعة) أو (الجبل الأزرق) وفي عام 1965، فُقد أحد الأجهزة التي وُضعت على قمة ناندا ديفي بسبب انهيار جليدي، ولا يزال فقدان هذا الجهاز يغذي نظريات المؤامرة بشأن الكوارث الطبيعية في المنطقة. بحلول عام 1973، وفرت هذه المهمة معلومات مهمة عن تجارب الصواريخ الباليستية الصينية، على الرغم من أن أجهزة المراقبة الأرضية تم استبدالها بتكنولوجيا الأقمار الصناعية.

وفقًا لمكغار رأت الولايات المتحدة أن إحدى الطرق لطمأنه الهند بشأن التهديد النووي الصيني هي التعاون لجمع معلومات دقيقة عن القدرات النووية الصينية، ورغم القلق من سباق تسلح نووي إقليمي، اعتبرت واشنطن العملية نجاحًا جزئيًا لأنها "وفرت بيانات مفيدة".

لكن بحلول أوائل السبعينيات قررت إدارة الرئيس ريتشارد نيكسون ومستشار الأمن القومي هنري كيسنجر تطوير علاقات ودية مع الصين تحت حكم ماو تسي تونغ، مما جعل التعاون الاستخباراتي مع الهند أقل أهمية، وفي عام 1978، كشف تقرير في مجلة أميركية عن هذا المشروع السري، مما أحدث صدمة سياسية كبيرة في الهند.

مركز حمورابي للبحوث و الدراسات الاستراتيجية

أسس مركز حمورابي للبحوث والدراسات الاستراتيجية في 25-4-2012 بمدينة بابل(الحلة)، كمركز علمي بحثي يمتد الى دراسة الموضوعات السياسية و المجتمعية بصورة علمية و استراتيجية، فضلاً عن التركيز على القضايا والظواهر الحادثة والمحتملة قي الشأن المحلي والأقليمي والدولي ، ويتعامل مع باحثين من مختلف التخصصات داخل العراق وخارجه، وتحتضن بغداد المقر الرئيسي للمركز.

www.hcrsiraq.net

07810234002

hcrsiraq@yahoo.com

t.me/hammurabicrss

مركز حمورابي للبحوث والدراسيات الاستراتيجية

hcrsiraq

العراق - بغداد- الكرادة